وحدة النوع البشري

(تابع لما في الجزء السابق)

وهناك دليلٌ آخر من ادلة القائلين بتعدد النوع وهو انتشار الانسان في جميع اقطار الارض من اشدّ الاقاليم حرًّا كنواحي خط الاستوآء التي لا تزال اشعة الشمس عليها عموديةً كل ايام السنة الى اشدّها برداً كجهات الدائرة القطبية التي لا يبرحها الثلج والجليد ولا تشرف الشمس عليها الا في بعض اشهر السنة زاحفةً فوق الافق مع أنّا اذا تتبعنا جميع انواع الحيوان والنبات لا نجد فيها ما تختلف بِيئتهُ هذا الاختلاف البعيد ولا ما يمكن ان يعيش في اقليمين متضادّين

وهذا مع كونهِ حقًّا لا ريب فيهِ فانهُ لا يصحّ ان يُقاس بهِ الانسان لان النبات وسائر انواع الحيوان لا قدرة لها على دفع عوادي الطبيعة اذ كلٌّ منها مخلوقٌ على مزاجٍ لا يستقيم الا في البيئة التي تلائمهُ وبخلاف ذلك الانسان فانهُ قد وُهب من العقل والقدرة على الاعمال اليدوية ما يستطيع بهِ ان يعيش في كل بيئةٍ نزلها ويحوّل ما لا يلائمهُ الى ما يلائمهُ . بل هو كثيراً ما يستطيع ان ينقل نفس الحيوان والنبات عن بيئاتهما بأن يؤويهما الى كنَفهِ ويجعلها تحت عنايتهِ وتدبيرهِ ولذلك ترى الحيوانات الاهلية مصاحبةً للانسان حيثما استقرّ وهي تعيش معهُ وتتوالد وبخلافها الطير واوابد الحيوان فان لكلٍّ منها بيئةً من الارض لا يخرج منها ولا يعيش في غيرها

وعلى ذلك فلا يمتنع ان يكون الانسان قد نشأ في بقعةٍ معينّة من الارض ثم انتشر منها الى سائر الانحآء بل الاشبه ان هذا مما يتعين القول بهِ قياساً على بقية الانواع من الحيوان وغيرهِ على ما تقدم قريباً والا فان الحكم بان للانسان مناشئ متعددة ظهر في كلٍّ منها ابتدآء مخالفٌ لما عليهِ سائر تلك الانواع لانك لا تجد نوعاً منها وُجِد في مكانين الا ان يكون بين المكانين اتصالٌ في البقعة او تماثلٌ في البيئة بحيث يكون قد انتقل الى احدهما من الآخر

على انهُ من المُجمَع عليهِ عند علمآء الحيوان وعلمآء منافع الاعضآء ان النوع كلما ارتقى كانت بيئتهُ اضيق وذلك ان من لوازم الارتقآء تعدُّد الحاجات واختصاص كل عضوٍ بحاجة وحينئذٍ فلا يبقى كل مكانٍ ملائماً للمقيم بهِ فينقبض الحيّز الذي كان يسعهُ بالطبع ويبقى محصوراً في البيئة التي توافقهُ . وانظر في ذلك الى اصناف القِرَدة وهي بجملتها توجد في آسيا وفي بعض جزُر الباسيفيك الى ياوا جنوباً والجزر الفيلبية شرقاً وفي غربي افريقيا من ١٠° جنوباً الى ١٥° شمالاً فان الجِبّون وهو ادنى اصنافها يوجد في جميع النواحي المذكورة والاوران لا يكاد يوجد منها الا في بُرنيُو وسومطرة . وكذلك الشبنزي والغرِلى وهما من قِرَدة افريقيا يوجد الاول في اكثر اراضي غينيا والكنغو ولم يوجد الثاني الا في الغابون من تلك الارض

ومعلومٌ ان الانسان بالاعتبار التشريحي ارقى كثيراً من الاوران والغرِلّى فقد كان ينبغي ان يكون محصوراً في بيئةٍ اضيق من موطن هذين ولكنهُ لم يقف عند حدود بيئةٍ معلومة لما تقدم فاتخذ الارض كلها مبآءةً

لهُ وحيثما حلّ عالج الطبيعة بما يجعلها موافقةً لطبعهِ وحاجاتهِ فكانت جميع الاقاليم بالقياس اليهِ على السوآء

اما موضع نشأة الانسان الاولى فلا ريب انهُ وُجد في اكثر البيئات ملآءمةً لمزاجهِ وافضلها ضمانةً لبقآئهِ وتعاقبهِ . ولا يخفى ان اصلح بيئةٍ لهُ من هذا القبيل هي الاقاليم المعتدلة لانهُ لا يحتاج فيها الى مقاومة حرٍ ولا برد ولا سيما وانهُ كان في اول نشأتهِ خِلواً من المدارك العلميـة والذرائع الصناعية فلا بدّ ان يكون قد وُضِع في المكان الذي يكون فيهِ اقلّ كلفةٍ بحيث يستغني بالحالة الطبيعية عن المزاولة العملية

واما تعيين ذلك الموضع فقد اتفق اكثر الرواة والباحثين على جعلهِ في نواحي آسيا فمنهم من جعلهُ في جزيرة سيلان وهو قول الهنود ومنهم من جعلهُ في جبال البلّور وهو ما يتحصل من عبارة التوراة على ما ذهب اليـهِ بعض محققي المفسرين وقيل هو مقتضى ما جآء في نصوص بعض النسخ الموثوق بها من الزندَوِستا . ومنهم من جعلهُ في جبال القوقاس وهو مذهب افلاطون وجمهور المتقدمين من فلاسفة اليونان وجعلهُ كاترفاج من علمآء المتأخرين في البقعة الواقعة بين جبال البلّور غرباً وجبال حملايا وألتآي من الجنوب والشمال وما يتصل بذلك شرقاً الى حدود منشوريا . وذلك ان البشر تنقسم الى ثلاث سلائل عامّة وهي الاسود والاصفر والابيض وليس بقعةٌ من الارض اجتمعت حولها هذه السلائل الثلاث الا البقعة المذكورة فان الاسود منها كان اول نشأتهِ على ما يذهب اليهِ في الهند ولا تزال بقاياهُ الى الآن منتشرةً في تلك الناحية من جزائر كيوسيو باليابان الى جزائر

الأندمان بخوْر البنغال الا ان اكثرهم في الهند من الخِلاسيين وهم منتشرون الى مملكة نيبول شمالاً والخليج الفارسي غرباً . والاصفر منتشرٌ في الشمال والشرق والجنوب الشرقي والغرب من البقعة المذكورة والابيض في الغرب والجنوب

وهناك امرٌ آخر ليس بأدنى اهمية مما ذُكر وهو امر اللغات فانها تُقسم ايضاً الى ثلاث شُعَبٍ اصلية هي مرجع جميع اللغات المتعارَفة وكلها توجد في الموضع نفسهِ . اولاها ذات الهجآء الواحد وتوجد في اواسط تلك البقعة وفي الجنوب الشرقيّ منها وهي لغة الصينيين والسياميين والتبِتّيين ومن اليهم . والثانية اللغات المنحوتة أو الملفقّة وهي التي ليس فيها صِيغ اشتقاقية للكلم لكن يعبَّر عن المعاني التصريفية وماجرى مجراها بألفاظٍ تُضَمّ الى الكلمة الاصلية وتُسبَك معها كلمةً واحدة وهذه اللغات توجد في الشمال الشرقي والشمال الغربي والجنوب والغرب ومنها الكردية والتامولية والمنشورية والكورية والطورانية وهي اكثر اللغات انتشاراً في الارض . والثالثة اللغات التصريفية أو الاشتقاقية وتوجد في الجنوب والجنوب الغربي ومنها السنسكريتية والايرانية والارمنية وغيرها ولكل واحدة من هذه اللغات فروعٌ لا تُحصى منتشرة في جميع اقطار المعمور ولكنك لا ترى بقعةً قد اجتمعت فيها بأنواعها كما اجتمعت في البقعة المذكورة

فيترجح من هذين الامرين ان مهد الانسان كان في تلك الناحية ومنها تفرقت البشر في سائر انحاء الكرة . على انهُ قد ظهر من مباحث علم الرُفات (الپاليونتولوجيا) انهُ في اثنآء الدهر الثالث كانت سيبيريا وسپِتْزْبرج

من الاراضي المعتدلة لانهم وجدوا فيهما بقايا انواع من الحيوان لا تأكل الا من انواع النبات التي تنبت في المنطقة المعتدلة وهذا يدلّ على ان مهد الانسان كان ممتدًّا الى شمالي آسيا كما انهُ ينفي كل النفي انهُ كان في المنطقة الحارّة كما ذهب اليهِ جماعةٌ من الباحثين لانها كانت اذ ذاك لا تطاق فضلاً عن انهُ ليس في الادلة العلمية ما يؤيد ذلك

بقي الكلام في كيفية مهاجرة الانسان من بيئتهِ الاصلية وانتقالهِ الى ابعد اطراف الارض وهو مما يظهر في بادي الرأي محالاً بالقياس الى ما كان عليهِ لأول عهدهِ من حالة البداوة الفطرية وقلة الذرائع التي تعينهُ على مثل هذه المهاجرات وما كانت عليهِ الطبيعة من خشونة المركب وصعوبة المقتحَم. غير انهُ فضلاً عن كون ذلك ثابتاً من تواريخ الامم وتقاليدها المتسلسلة في العالمين القديم والجديد ومما تشهد بصحتهِ الدلائل العلمية من الرُفات والآثار العاديّة فانهُ ليس مما يتعذر على الانسان مع اعتبار كونهِ انساناً بقواهُ ومواهبهِ الطبيعية ان يقاوم الطبيعة الجامدة والحيوان الاعجم

وهذه المهاجرة كانت ولا بدّ عن طريقي البرّ والبحر جميعاً. فاما هجرتهُ برًّا فلا يخفى ان ما ذُكر من كونهِ على حالة البداوة الفطرية اجدر بأن يكون معيناً لهُ على ركوب هذه الخطة من ان يكون مثبطاً لهُ عنها لان من كان كذلك يكون في الغالب مدفوعاً الى طلب القوت من مزاولة الصيد ومطاردة الوحش في الصحاري والادغال فهو دائم التنقل يركب كل ارض ويقتحم كل عقبة فلا يقف في وجههِ عائق . ومثلهُ الراعي الذي يقضي ايامهُ في ارتياد منابت الكلأ فانهُ لا يكاد يستقرّ في ارض ولا يحجم عن تسلُّق

جبلٍ او هبوط وادٍ ولذلك كانت القبائل التي تتعاطى الصيد والرعاية من اقدر الناس على ركوب الاسفار البعيدة واقتحام الخطط الشاقة وحسبنا ثبتاً لذلك الوقائع التأريخية فانك لا تجد ذكر قومٍ من الذين دوّخوا البلاد واجتاحوا الممالك الا وهم من الامم الوحشية

هذا في الهجرة البرّية واما الهجرة البحرية فلا ريب انها اصعب مزاولةً واعظم خطراً وفضلاً عن ذلك فانهُ لا بدّ لها من استعدادٍ خاصٍ لا يقتضيهِ سفر البرّ وهو معرفة بناء السفن وطريقة تسييرها واختبار المسالك والرياح الى غير ذلك مما لا يتسنى الا بعد ادمان المزاولة وتكرار التجارب ومما لم يتوصل اليهِ الانسان الا بعد ان اتت عليهِ احقابٌ متطاولة و بعد ان صار على شيء من الحضارة

ولقد يسبق الى الظن ان السفر بين العالم القديم والجديد كان من المحال بالقياس الى الانسان الاول لما هنالك من البعد الشاسع وما يحول دون قطعهِ من اهوال اللجج وقوّة العواصف ولكن الامر عند التحقيق اسهل كثيراً مما يتبادر منهُ لاول وهلة فانك اذا تتبعت شواطئ آسيا واميركا وجدت القارتين تلتقيان عند مضيق بهرنغ بحيث لا يبقى بينهما من المسافة الا نحو ٩٠ كيلومتراً ويتوسط هذه المسافة احدى جزُر سأن ديُوماد فتكون محطةً تنقسم بها المسافة المذكورة الى نصفين . وهناك سلسلة جزر أُخريين كمشتكا والألسكا تعرف بالجزر الأليوتية يمكن ان تتخذ طريقاً من احدى القارتين الى الاخرى وكلها متقاربة المسافات . على انهُ لا يبعد ان يكون الانسان قد انتشر في القارة الاميركية قبل ان تنفصل القارتان لما هو محقق

من انهما كانتا متصلتين في الدهر القديم فيكون قد ارتحل اليها في طريقٍ برّية ويؤيد ذلك وجود بقايا الانسان هناك منذ الدهر الرابع . وعلى كلٍّ فلا ريب في انتقال الانسان الى اميركا من نواحي آسيا كما يشهد بهِ ما يُرَى من المشابه بين اهلها وبعض السلائل الآسوية مما لاسبيل الى الافاضة فيهِ في هذا الموضع

ومثل ذلك يقال فيمن هاجر من الانسان الى جزُر الپاسيفيك ولا سيما ما امعن منها في عُرض البحر كجزائر پُولينيزيا فانا نجد هناك سلسلة من الجزر تتوالى من العُدوة الآسوية الى غينيا الجديدة ثم من جزر سليمان الى الجزر المذكورة بحيث يمكن الانتقال من احداها الى الاخرى على غير كبير خطر . وهذا فضلاً عن ان الريح هناك تلبث مؤاتية مدة اشهر من السنة في مواعيد يعلمها ممارسو الاسفار البحرية في تلك الناحية

اما اهالي تلك الجزر فمختلطون من السلالة السودآء والصفرآء منفردتين او ممتزجتين وجميعهم من طوارئ الهند والصين وما جاورهما . على ان بعض سكان الجزر القاصية منهم لم يهاجروا اليها الا من عهدٍ ليس بالقديم كما يستفاد من التقاليد المتداولة بينهم مما يدل على انهم لم يقتحموا الاسفار الشاقة الا بعد ان طالت الفتهم للبحار ازماناً متطاولة ولم يبتعدوا عن البرّ الا شيئاً بعد شيء جرياً على ما تقتضيهِ طبيعة الترقي في الاعمال

وقد اطلنا في البحث الى ما لعلهُ ادى الى ملل المطالع وقد بقي في كل ما ذكرناهُ تفاصيل طويلة لا يسعها المقام فاقتصرنا منها على هذا القدر وفيما ذكرناهُ كفايةٌ للتبصرة والله اعلم

البحتري

بقلم حضرة الاديب الكاتب امين افندي الحداد

(تابع لما في الجزء السابق)

ونحن الآن نبدأ بالمديح الذي لولاهُ لما عُرف البحتري ولا كلف خاطرهُ من النظم شيئاً وانما نذكر بعض ما نذكرهُ عنهُ للدلالة على انهُ كان غالباً قليل التعمد للغلوّ وعلى انهُ كان يمدح المرء بما فيهِ او بما يجوز ان يكون فيهِ مما يتصف بهِ امثالهُ واهل طبقتهِ على خلاف كثيرين ممن يعجزهم بيان الحقائق وهي ضيّقة محدودة فيعمدون الى الغلوّ وهو متسع النواحي . فمن ذلك قولهُ يمدح الفتح بن خاقان وزير المتوكل

رزينٌ اذا ما القوم خفّت حلومهم ... وَقورٌ اذا ما حادثُ الدهر اجلبا
حَرُونٌ اذا عازتهُ في مُلمَّةٍ ... فان جئتهُ من جانب الذلّ أصحبا
فتًى لم يضيّع وجه حزمٍ ولم يبت ... يلاحظ أعجاز الامور تعقُّبا
اذا همَّ لم يقعد بهِ العجز مقعداً ... وان كفَّ لم يذهب بهِ الخُرقُ مذهبا

ومثل ذلك قولهُ فيهِ

يغضّون فضل اللحظ من حيثما بدا ... لهم عن مهيبٍ في الصدور محبَّبِ
اذا عرضوا في جدّهِ نفرت بهم ... بسالةُ مشبوح الذراعين أغلبِ
نفى البغي واستدعى السلامة وانتهى ... الى شرف الفعل الكريم المهذَّبِ
اذا انساب في تدبير امرٍ ترافدت ... لهُ هممٌ ينجحنَ في كل مطلبِ
إنِ العرب انقادت اليك قلوبها ... فقد جئتَ احساناً الى كل مُعرِبِ

ولم تتعمد حاضراً دون غائبٍ ولم تتجانف من بعيدٍ لاقربِ

وهي قصيدة طويلة يذكر فيها سعي الفتح في مصالحة اهل حمص . على ان الفتح ربما لم يكن قد اصلح بينهم بعدل كما يقول البحتري فيصحّ ان يكون مدحهُ كتاريخ ولكنهُ مدحٌ بما يحسن ان يُمدَح بهِ الحاكم العادل . ولهُ فيهِ ايضاً

فتًى لا يزالِ الدهرَ حول رباعهِ ايادٍ لهُ بيضٌ وافنيةٌ خُضرُ
اضآء لنا افق البلاد وكشَّفت مشاهدهُ ما لا يكشّفهُ الفجرُ
غمام سماحٍ ما يغبُّ لهُ حياً ومِسعرُ حربٍ ما يضيع لهُ وِترُ
تصون بنو العباس صولة بأسهِ لشغب عدًى يعتاد اوحادثٍ يعرو
يبيت لهم حيث الامانة والتقى ويغدو لهم حيث الكلاَءة والنصرُ
يَعُدُّ انتقاصاً أن تطاولهم يدٌ ويعتدُّ وِتراً أن يغشَّهُمُ صدرُ

ولهُ فيهِ

مراعٍ لاوقات المعالي متى يَلُحْ لهُ شرفٌ يُوجِف اليهِ فيُوضعِ
عَفوٌّ عن الجانين حتى يردَّهم اليهِ والاَّ يعفُ يأخذ فيسرعِ
عليمٌ بتصريف الليالي كأنما يعاني صروف الدهر من عهد تبَّعِ
ولا يبتدي بالحرب أو يُبتدا بها وَقورُ الاناة اريحيَّ التسرُّعِ
لهُ الاثر المحمود في كل موقفٍ وفصل الخطاب الثَبْتُ في كل مجمعِ
اذا بدرت منهُ العزيمةُ لم يقف وان جاز عنهُ الامر لم يتتبعِ
امين بني العباس في سرّ امرهم وعُدَّتهم للخالع المتمنعِ
فما هو بالسهل الشكيمة دونهم ولا فيهمِ بالمدهن المتصنعِ

وهذا هو المدح الخالص الذي يليق ان يعقدهُ الشعر ليبقى دلالةً على ما يجب ان يكون عليهِ الحكام من محبتهم للسلم وعدم مبادأتهم بالعدوان وحسن تصرفهم في السياسة وترفع نفوسهم عن المداهنة والنفاق

ويجري هذا المجرى من مديحهِ قولهُ

حسام امير المؤمنين الذي بهِ تعالَجُ ادواء الرجال فتُحسَمُ
امدُّ الرجالِ لبثةً حين يرتإي واكثرهم امضاءةً حين يعزمُ
بتسديدهِ تُلغى الامور وتجتبي وتُنقَض اسباب الخطوب وتُبرَمُ
ربا في حجاب الملك يغريهِ بالحجى خلائفُ منهم مرشدٌ ومقوّمُ
فآض كما آض الحسامُ ترافدت عليهِ القيون فهو ابيضُ مِخذَمُ
مدبّرُ ملكٍ ايُّ رأييهِ صارعوا بهِ الخطبَ ردَّ الخطب يُدمَى ويُكلَمُ
وظلاَّم اعداءٍ اذا بُدئَ اعتدى بموجزةٍ يرفضُّ من وقعها الدمُ
وَقُورٌ يرد العفوُ فرط شذاتهِ وفي القوم اشتاتٌ مُليمٌ ومجرمُ
ولو بلغ الجاني اقاصيَ حلمهِ لأَعقبَ بعد الحلم منهُ التحلُّمُ
وما البذل بالشيء الذي يستطيعهُ من الناس الا الاروعُ المتهجمُ
ويُحجمُ احياناً عن الجود بعض من تراهُ على مكروهة السيف يَقْدِمُ

ولهُ في مديح المنتصر

تطوّلَ بالعدل لما قضى واجملَ في العفو لما قَدَرْ
ودام على خُلُقٍ واحدٍ عظيم الغناء جليل الخطَرْ
ولم يسعَ في الملك سعي امرئٍ تبدَّا بخيرٍ وثنى بِشَرْ
ولا كان مختلفَ الحالتين يروح بنفعٍ ويغدو بضَرْ

ولكن مصفىً كمآء الغما م طابت اوائله والاواخر

ولهُ في احد الوزرآء

تفرّجت حلبةُ الكتّاب حين جروا عن سابقٍ بخصال السبق منفردِ
أن يعملوا الجور يقصِدْ في تصرفهِ او يسرفوا في فنون الامر يقتصدِ
أن السياسة قد آلت الى يَقظٍ موفقٍ لسبيل الحق معتمدِ
لم يرجُها باكاذيب الظنون ولم يَمتُتْ الى نيلها اذ متَّ من بُعُدِ
الفى اباهُ على نهجٍ فطاوَلَهُ الى العلآء وجاراهُ الى الأَمدِ
تلكَ الخلافة قد دارت على قُطُبٍ من رأيِهِ الثَبَتِ واستذرت الى سندِ
أدّى الامانة لم تعجز كفايتهُ عنها ولم يستنِمْ فيها الى احدِ

ولهُ في مديح عُبَيد الله بن يحيي

يجري على مذهب الامام لهم ويحتذي رأيهُ فيعتقدُهْ
ويقتدي وهو في صلاحهمِ لسانهُ المكتفَى بهِ ويَدُهْ
يستثقل النائمون من وسنٍ وهو طويلٌ في شأنهم سُهُدُهْ
وزير ملكٍ تمت كفايتهُ فلم يَهِنْ حزمهُ ولا جلَدُهْ
مأخوذةٌ للامور أُهبتهُ تسبقها قبل وقتها عُدَدُهْ

ولهُ في ابن ثوابة

معظَّمٌ لم يزل تواضعهُ لآمليهِ يزيد في عِظَمِهْ
غير ضعيف الوفآء ناقصهِ ولا ظنين التدبير متَّهَمِهْ
ما السيف عَضباً تَدمَى مضاربهُ امضى على النائبات من قلمِهْ
حامَى عن المكرماتِ مجتهداً جهدَ المحامي عن مالهِ ودَمِهْ

اذا رأينا ذوي عنايتهِ لديهِ خلناهمُ ذوي رَحِمِهْ
ما خالف الملكُ حالتيهِ ولا غيَّرَ عزُّ السلطانِ من كرمهْ
تم على عهدهِ القديم لنا والسيل يجري على مدى قِدَمِهْ

(ستأتي البقية)

رأي جديد في الصابون

ارتأى احد النازلين بناحية رأس الرجآء الصالح رأياً غريباً شغل بهِ اكثر صحائف انكلترا حتى المجلات العلمية والطبية فتناولهُ بعضها بالبحث و بعضها بالسخرية كما هو الشأن في كل رأيٍ جديد فرأينا ان ننقل الى القرآء مفاد كلامهِ على سبيل التفكهة ولعلهُ لا يخلو من تبصرة تؤدي الى صواب قال

اني اجد ان الاكثار من استعمال الصابون متلفةٌ للجسم على خلاف معتقد الجمهور بل ارى ان في استعمالهِ مخالفةً لمقتضى الوضع الطبيعي فان الله قد كسا اجسادنا طبقةً دهنية تقي جلودنا فجئنا نزيلها عنها بهذا الصابون معرّضين انفسنا لاخطار دآء المفاصل وسائر العلل المسببة عن البرد. وذلك فضلاً عن ان الصابون متى باشر الجلد وأزال تلك الطبقة الدهنية عنهُ تفتحت مسامّهُ لدخول انواع الجراثيم المرضية اليها حتى يتلقح الجسم بها و يصاب بالعلل الناشئة عنها . ثم استشهد على صحة قوله بقبائل الكفرة النازلين في تلك الناحية فقال انهم ما تعرضوا للاوبآء ولا وهنت قواهم الا حين تحضروا واستعملوا الصابون وزاد على ذلك انهُ ورد على تلك الديار وهو في الستين من العمر فاقام بها ما يزيد على ثلاثين سنة لم يستعمل الصابون فيها الا في

حالاتٍ نادرة وانهُ عاش كل تلك المدة لم يُصَب بألم مفصل او علة برد على طول اسفارهِ البحرية بل كانت عدة نظافتهِ اسفنجةً يمسح بها جسدهُ بالمآء الصرف فقط . ثم اخذ في ذم المدنية الحالية فذكر انهُ لا تفسد صحة قومٍ فساد تابعيها ومستعملي صابونها وانهُ اذا كان احدٌ يستفيد حقيقةً من الصابون فلا يكون الا معاملهُ التي تصوّر الانسان قذراً لتحمل الناس على مشترى بضائعها . انتهى بمعناهُ

ومهما ظهر في هذا الرأي من الغرابة بالقياس الى ما الفتهُ جميع طبقات الناس في الاقطار المتمدنة فان ما نالهُ من عناية اولي العلم بالبحث فيهِ واهتمام اكابر الاطبآء بتمحيصهِ يدل على انهُ من الآرآء التي لا ينبغي اطّراحها والاستخفاف بها ولا سيما بعد ما ذكرهُ الكاتب من الشواهد على صحة قولهِ . ولا ينبغي ان يُعتَدَّ بما نشرتهُ بعض الجرائد الانكليزية من الطعن عليهِ والهزؤ بهِ حتى زعمت احداها ان نهيهُ عن الصابون يشبه نهي احد الاميركان عن النوم على الأسرّة لانهُ يشبه رقدة الميت فانهُ قولٌ صادر عن تحاملٍ محض وفيهِ من البعد عن الانصاف ما لا يخفى . على ان الحكم في هذه القضية منوطٌ بار بابهِ والامر مهما ظهر فيهِ من الصواب فان الناس لا تُقدِم على اعتمادهِ ما لم تقف على رأي اهلهِ ولا سيما في مثل هذه المسئلة المهمّة . فنحن ننتظر ما يجيئنا من قول الاطبآء فيها ولعلّ في حذاق اطبآئنا من يلقي دلوهُ في الدلآء ويذكر ما عندهُ فيها من الوجه العلمي فقد يكون من ورآء صحتها دفع كثير من الدلل التي فشت في هذه الايام في كل بلادٍ دخلها التمدن الحديث

متفرقات

تأثير المطر في الحيوان — مما راقبهُ احد مروضي الحيوانات المفترسة انهُ رأى الذئاب حين يسقط المطر تكون مبتهجة مسرورة ذات مرح وخفة . اما الاسود فعلى خلاف ذلك فانها تضطرب وتزأر ولا يسكن جأشها الاحين يقدَّم لها الطعام فتأكلهُ ثم تنام . وقد ظهر لهذا المراقب ان جميع الحيوانات التي من فصيلة الهرّ تكون على هذه الحالة لان وقع المطر يهيج اعصابها وتغيُّر الجوّ يغير اخلاقها . اما الحيات فقد وجد انها تبقى على حالها دون ان يظهر عليها اثر من تغير الجو حتى كأن البرد لا تأثير لهُ في اجسادها لكن ربما ظهر عليها شيءٌ من علامات الارتياح عند سقوط المطر . اما الوعل والايّل والغزال وسائر انواع هذه الفصيلة فقد شاهد انها لا تحفل بالمطر ولا يبدو منهُ عليها اقلّ تأثير. الا ان أشد الحيوانات تأثراً من المطر الطيور فانها تكون على غاية الاضطراب حين يسقط الغيث فتنقطع عن التغريد وتنقبض مسترخيةً مما يدلّ على انها في ضيق شديد ولعل هذا مسبب عن ان المطر يبلّ ريشها حتى يمنعها عن الطيران وان تكن ليست في حاجةٍ اليهِ وهي في اقفاصها

تجارة الشعر — للشعر تجارة رائجة في اكثر الاصقاع ولكن اكثر الممالك استهلاكاً لهُ مملكة فرنسا فان حاجتها تشتد اليهِ حتى تستخدم مكانهُ الكتان وتصنعهُ على شكل الشعر الا ان هذا مما يُستعمل غالباً في الملاعب

حيث يكون لابسوهُ على مسافة من الرآئين فلا يبدو عيبهُ واما سائر ما يتزين بهِ من الشعر المستعار فلا بد ان يكون من شعر الانسان . وقد ذكروا ان اكثر الممالك اتّجاراً بهِ روسيا وغاليسيا حيث يقص البنات شعورهنَّ ويذهبنَ الى الاسواق فيبعنها . وتتلوهما في ذلك بوهيميا حيث تقام للشعر اسواقٌ خاصة ويُحتكر احياناً كما يُحتكَر القطن والصوف قصد رفع اسعارهِ . واما اللواتي يبعنَ شعورهنَّ فهنَّ البنات الفلاَّحات فكأَن حاصلات ارضهنَّ تقصر عن نفقاتهنَّ فيستعنَّ بحاصلات شعورهنَّ ولكنهنَّ حين يتزوجنَ يمتنعنَ من ذلك

اما اكثر الشعور رواجاً وغلآء فشعور نسآء الشمال كاهالي اسوج وجرمانيا وذلك لان البلاد الشمالية تطيل شعر الحيوان كلهِ فضلاً عن ان الشعر هناك يكون جميلاً ذهبي اللون لايستطاع تقليدهُ . ويقال ان من الشعر ما يبلغ ثمنهُ حدًّا فاحشاً وذلك حين يكثر طولهُ ويشتدّ بهآؤهُ فتمتنع صاحبتهُ من بيعهِ الا باغلى الاسعار مهما كانت فقيرة لانهُ يكون سبب جمالها وشفيع زواجها ومحالٌ ان تبيع الفتاة جمالها الا باجمل منهُ وهو المال الكثير

كتاب زجر النفس

تقدم لنا ذكر هذا الكتاب النفيس في الجزء السابق والاشارة الى ما فيهِ من شرف الاغراض وفصاحة العبارة ونحن موردون منهُ النموذج الآتي على ما وعدنا بهِ هناك . وهذا احد فصولهِ

يا نفس كما ان احلام الدنيا ليست بشيء حقيقي بالاضافة الى اسباب

الدنيا فكذلك اسباب الدنيا ليست بشيء حقيقي بالاضافة الى عالم العقل الذي هو الحق . وانما شرحتُ لكِ يا نفس هذه المعاني لكي لا تغتبطي بما تشاهدين في عالم الحسّ فتكوني كالذي نام فرأى في منامهِ اشيآء حسنةً مبهجة فأَنِس بها وركن اليها فلما استيقظ حزن وجزع على مفارقتهِ تلك الاشيآء التي رآها في نومهِ نِعَماً ونعيماً حتى انهُ لضعف عقلهِ وقلة علمهِ يعود الى النوم تشوقاً منهُ الى الاشيآء التي رآها في نومهِ . فاذا كان هذا يا نفس قد اتضح لكِ فاعلمي ان النفس اذا كانت في عالم الكون مشاهدةً لنعيمهِ ولذّاتهِ وسرورهِ فانها مع ما تفارقهُ تتألم لذلك اشدّ الالم وتجزع لهُ اشدّ الجزع وتتمنى ان تعود اليهِ لتطلب تلك الاشيآء التي كانت تشاهدها شوقاً اليها واغتباطاً بها . ومتى كانت النفس في عالم الكون مشاهدةً لبؤسهِ واحزانهِ وضيقتهِ فانها مع ما تفارقهُ تجد لمفارقتهِ اعظم اللذة واكمل السرور والراحة . وبالحقيقة انهُ لو رأى نائمٌ في منامهِ كأنهُ مشاهدٌ اشيآء موحِشة سمجة مؤذية ثم استيقظ من نومهِ ذلك لوجد عند يقظتهِ اعظم اللذة وأتمّ السرور لمفارقتهِ تلك الاشيآء التي شاهدها في منامهِ ويكره ان يعود الى النوم استيحاشاً وجزعاً من تلك المكاره التي رآها

يا نفس اذا اعطتكِ الدنيا شيئاً فلا تأخذيهِ منها فانها انما تُطربكِ لتُضحكَكِ قليلاً وتبكيكِ كثيراً . وهذا الفعل انما هو بالطبع لا بالتكلف ولن يقدر الشيء الطبيعي ان يكون غير ما هو . فاما النفس فانها عاقلة مميزة ولها الاستطاعة على ان تخدع وان لا تخدع فاذا رأت المخادع لها ثم انحرفت عن خداعهِ وحذرتهُ فقد نجت من سوء العاقبة واذا قبلت المخادعة والمماحلة

فانما ذلك بهواها وشهوتها . وكما انهُ يمكنها ان تقبل الخداع فكذلك يمكنها ان لا تقبل ذلك فهي مالكة الاستطاعة ان شآءت تحذرت من الهلكة وان شآءت سلكتها . فانظري يا نفس الى هذه الوصايا وتدبريها لتفوزي بالنجاة سائرةً الى دار البقآء ومحل النور والصفآء مع السادة الاخيار والائمة الابرار

الشعر العصري

وردتنا هذه القصيدة من نظم حضرة الشاعر المجيد مصطفى صادق افندي الرافعي فاحببنا اثباتها لرقة معانيها وجزالة الفاظها قال حفظهُ الله

أَبيتُ وجنبي ليس يحويهِ مضجعُ   وبعض الذي ألقى من النوم يمنعُ
تقلبني الأشواق وخزاً كأنني   بكف الهوى ثوبٌ رديمٌ يرقَّعُ
ولي حاجةٌ في السهد والسهد قاتلي   بدمعي وبعض الموت في المآء يُنقعُ
فيا أيهـا النوّام ما لذة الـكرى   أما لـكمُ مثلي فؤادٌ وأضلعُ
وكيف تنام العين والقلب موجَعٌ   وأنّى يصح القلب والحس يوجعُ
كأن الهوى نورٌ كأن بني الهوى   كواكب إمّا جنَّهـا الليل تلمعُ
وما انفكَّ نور الحب في كل كائنٍ   ولـكن لأمرٍ بعضهُ ليس يسطعُ
وما كل مصباحٍ بذي كهربآءةٍ   ولا كل انسانٍ رأى الشمس يوشعُ
ويا شدّ ما ألقى من الحب وحدهُ   فكيف وفي طبع الحبيب التمنعُ
هل الحب الا ما ترى من فضيحةٍ   وما المسك لولا أنهُ يتضوعُ
كأن فؤادي شعلةٌ قد تعلقت   بجسمي وطبع النار في العود تسرعُ

وما أنا وحدي من يقولون عاشقٌ ولكنني وحدي الذي يتوجعُ
وفي كل عينٍ أدمعٌ غير أنني لعينيَّ من دون المساكين ادمعُ
أعينيَّ ما دمعي عليَّ بهيّنٍ فكم ذا وكم ذا تجزعين وأجزعُ
كأنكِ في كل القلوب فمن بكى بكيتِ لهُ والحرُّ بالناس يُخدعُ
أحاطت بيَ الارزآء من كل جانبٍ كأن الرزايا تحت جنبيَّ مصرعُ
كأنيَ في الآمال زورق لجةٍ اذا احتملتهُ كان للخفض يُرفعُ
وما كل من تحنو على الطفل أمهُ ولا كل من تدنيهِ للثدي مرضعُ
ولي في الهوى شمسٌ اذا هي اشرقت رأيت بها سحب الاسى كيف تُقشِعُ
ولكن لحظّي كان حظيَ ليلَها ومن ذا يخال الشمس في الليل تطلعُ
كلانا بهِ وجدٌ ولكنهُ الهوى دلالٌ وهجرانٌ ويأسٌ ومطمعُ
فإن أستَبِنْ ما أصنع اليوم يأتني غدٌ بالذي لم استبن كيف اصنعُ

اسئلة واجوبتها

طرابلس الشام — جآء في القاموس «تخرَّم فلانٌ دان بدين الخُرَّمية» فهل لكم ان تذكروا لنا طرفاً من تاريخ هذا الدين ورؤوس معتقداتهِ ومن هم اهلهُ وفي اي قرنٍ كانوا ومتى كان انتهآء عهدهِ   اسعد حاماتي

الجواب — الخُرَّمية نسبةٌ الى بابك الخُرَّمي وهو رجل من المجوس كان يدعو الناس الى دينهِ وكان من اصحاب جاويدان بن سهل صاحب البذّ وهي كورة بين أرّان واذربيجان فادّعى ان روح جاويدان دخلت فيهِ

وخرج بالجاويدية سنة ٢٠١ للهجرة واستولى على جبال طَبَرِسْتان فعظم امرهُ وهزم عساكر المعتصم العباسي عدة مرار حتى انتدب لهُ المعتصم الافشين خيذَر بن كاوس لحاربهُ واسرهُ واحضرهُ الى المعتصم فقتلهُ ولذلك خبرٌ طويلٌ لا فائدة من ايرادهِ وكان مقتلهُ سنة ٢٢١ . انتهى عن ابي الفدآء وابن الاثير بمعناهُ

وفي ابن الاثير بعد ذكر ما تقدم من دعوى بابك «وتفسير جاويدان الدائم الباقي ومعنى خُرّم فرح وهي مقالات المجوس والرجل منهم يتزوج امهُ واختهُ وابنتهُ ولهذا يسمونهُ دين الفرح ويعتقدون مذهب التناسخ وان الارواح تنتقل من حيوان الى غيرهِ » . انتهى

هذا ما امكن الوصول اليهِ من امر هذه الطائفة واما حقيقة معتقدها فما لم نجد فيهِ كلاماً لأحد والله اعلم

المنصورة ـ ورد في اللغة « بآء » الرجل بمعنى فخر وتكبر فماذا نقول في مضارع هذا الفعل ومن اي بابٍ من ابواب الثلاثي هو

محمود نجم الدين

الجواب ـ نظن ان حضرتكم تريدون « بآء » الذي هو مقلوب « بأى » بالمعنى المذكور والظاهر ان هذا الفعل لا مضارع لهُ كما انهُ لا مصدر لهُ لان القلب مقصورٌ على لفظ الماضي وحدهُ وكذلك ترون كثيراً من الالفاظ المقلوبة التي ليست بلغةٍ لبعض القبائل لا يطّرد القلب في جميع تصاريفها . قال في المزهر قال السخاوي في شرح المفصَّل اذا قلبوا لم يجعلوا

للفرع مصدراً لئلا يلتبس بالاصل نحو يَئِس يأساً وأَيِس مقلوبٌ منهُ ولا مصدر لهُ . قلنا وقد سُمِع هذا القلب في مضارعهِ وفي وزن أَفعل فقالوا يأيس وآيَستهُ ولكنهم اقتصروا في صيغة استفعل على استيأس ولم يُسمع استآس . وكذلك قولهم رآء في مقلوب رأى فانهُ سُمع منهُ يرآء بوزن يخاف ولم ينُقَل منهُ شيء في بقية التصاريف مثل صيغة افعل وفاعَل وتفاعل ولا قالوا مثلاً في رأيتُ رِئْتُ كما يقال من خاف خِفْتُ . وهذا غير خاصٍّ بالافعال ولكنهُ قد يجيء في الاسمآء مثل قولهم في ما اطيبهُ ما ايطبهُ فان القلب مقصورٌ على هذا المثال ولم يُسمَع في غيرهِ من تصاريف هذه المادّة

القاهرة ـ نرى من الكتاب من يكتب نحو ثلاث وثلاثين بدون الف فتلتبس الاولى بالثُلث الذي هو احد اقسام الشيء الثلاثة والثانيـة بالثُلثَين مثنى الثُلث فما القصد بهذا الحذف ولماذا لا يكتبون هاتين الكلمتين كما يُلفَظ بهما

عزيز صاصي

الجواب ـ هـذا من اصطلاح الكتّاب يقصدون بهِ الاختصار في الرسم وهم كثيراً ما يحذفون من حروف بعض الكلم ولا سيما الالفات كما في هذا وهذه وهؤلآء وهذين وهذاك وههنا وذلك واولئك ولكن وفي اسم الجلالة والرحمن وسليمن وعثمن ولقمن وابرهيم واسحق واسمعيل والحرث ومعوية وغير ذلك . ومن الغريب انهم يحذفونها من هذينَ وهذاك ولا يحذفونها من هاتين وهاتيك مع ان استعمال هاتيك اكثر من استعمال هذاك لان الاشهر في هذاك ترك ها التنبيه من اولهِ وفي هاتيك التزامها .

ولما لم يكن لذلك سببٌ غير ما ذُكر فالذي عندنا ان الافضل اثبات الالف دفعاً للالتباس الا فيما اشتهر كثيراً وأُمِن التباسهُ مثل هذا واخواتها ولفظ الجلالة فلا بأس بتركها مجاراةً للمألوف

يافا ـ نرى البخيل كلما ازداد بخلاً ازداد رفعةً في عيون الناس و بعكس ذلك الكريم فهل لذلك من تعليل

وكيل الضيآء

سليم عبد الله دباس

الجواب ـ تعليلهُ ان البخل يكون على الغالب وسيلةً للغنَى لانهُ من اكبر اسبابهِ و بعكسهِ الجود فانهُ قلما كان الا وسيلة الفاقة ونفاد ذات اليد . ومعلوم ان في طباع الناس الميل الى الدرهم حيث كان فاجلالهم للبخيل انما هو للمال الذي في خزائنهِ لا للشخص الذي بين اثوابهِ

آثار ادبيّة

الطرائف ـ عنوان جريدة عمومية ينشئها حضرة الاديب الشاعر رشيد افندي المصوبع وقد تصفحنا العدد الاول منها فوجدنا فيهِ عدة مقالات ونبذ علمية وادبية يتخللها منظومات رائقة من شعرهِ وهي تصدر مرةً في الاسبوع في ثماني صفحات كبيرة وقيمة اشتراكها ثمانون غرشاً مصرياً فنرجو لها مزيد الاقبال والرواج

مئة مسئلة ومسئلة حسابية ـ اهديت الينا نسخة من هذه الرسالة لواضعها الاديب رشدي افندي كمال من موظفي السكة الحديدية المصرية وهي الرسالة الرابعة من هذه السلسلة وضعها لتلامذة الشهادة الابتدائية وختمها بجدول يشتمل على اشهر المقاييس الحديثة . فنحث الطلبة على مقتناها ونثني على مؤلفها طيب الثناء لما يطرف بهِ الطلاب من هذه الفوائد

رواية فتح الاندلس ـ هي الرواية التي نُشرت تباعاً في مجلة الهلال الغرآء لحضرة منشئها الفاضل جرجي افندي زيدان وهي الحلقة السابعة من روايات تاريخ الاسلام . وقد تصفحنا بعض فصولها فالفيناها حسنة السياق جيدة السرد الاَّ اننا عثرنا في اثنآء مطالعتها على اشيآء دعانا واجب الخدمة ان ننبه اليها حضرة الرصيف الفاضل وهي مما لا يجوز لنا ولا لهُ التغاضي عنهُ لموضعهِ من الاهمية ولا سيما في هذا الاوان ٠ ونعني بذلك انهُ قلما يبحث عن وجوه الصحة في استعمال الفاظ اللغة فيأتي بها احياناً مباينةً للمنقول في كتب اللغويين أو المتعارف عند جمهور الكتاب اما بتحريف اوضاعها او تبديل صيَغها او احالتها عن معانيها وربما تنازل الى استعمال الفاظٍ من اللغة العامية مع وجود الفصيح بازآئها ٠ ولا يخفى ان جميع ذلك فضلاً عن كونهِ يزري بمؤلفاتهِ في نظر الخاصة ويسقطها الى درجة التآليف العامية فانهُ يكون مدرجة لقرآئها الى متابعتهِ في الامور المذكورة لمكانهِ من ثقة جمهور المطالعين وقلة من يستطيع منهم ان يميز بين الخطأ والصواب فمن امثلة ذلك قولهُ في صفحة ١ « العائلة المالكة » ولفظة العائلة ليست

من اللفظ الصحيح في هذا المعنى وانما هي من كلام العامة فما ضرَّ لو استعمل في مكانها الأُسرة او العترة . وفي ص ٢ « حدوة الفرس » يعني نعلها وهي من الفاظ العامة ايضاً وكأن اصلها حذوة بالذال المعجمة يستعملها بعضهم بمعنى الحذآء . وفيها « ناهيك بقصورٍ اخرى » اي فضلاً عن قصورٍ اخرى مثلاً ولكن ناهيك لا تستعمل بهذا المعنى وانما هي بمعنى حسبك . وفي ص ٣ « الشوارع والاسطحة » يريد جمع سطح وهو انما يجمع على سطوح والاسطحة عامية . وفي هذه الصفحة « كان سبباً كبيراً في تعاستها وانشغال بالها » ولم ترد التعاسة في اللغة وانما هي من الفاظ العامة وصوابها التعس . وقولهُ وانشغال بالها عاميٌّ ايضاً لانهُ يقال شغلهُ فاشتغل ولم يسمع انشغل . وفي ص ٨ « احنى رأسهُ » والصواب حنى رأسهُ بصيغة المجرّد . وفيها « لبث الاثنان شاخصين برهةً » اى هنيهةً من الزمن والبرهة في اللغة بمعنى الزمن الطويل . ونقف عند هذا القدر لان غرضنا التنبيه دون النقد وفي مأمولنا ان حضرة الرصيف لا يرى فيما ذكرناهُ الا قصد الاخلاص في خدمة العلم الذي هو من اخصّ انصارهِ والله المسؤول ان يسددنا جميعاً الى محجة الصواب وهو حسبنا

تنبيه * وقع غلط في الجزء الماضي في الكلمات الواقعة في السطر الاول من صفحة ٢٣ وصوابها « لم يقف على نُسَخهِ عند الطبع »

فكاهات

غُستاف[1]

كانت فرنسا لعهد لويس الخامس عشر مرتعاً للدسائس والفتن ومهداً تربت فيهِ الثورة التي بلغت اشدها في ايام لويس السادس عشر وكانت سبباً لاعدامهِ . فكان البلاط الفرنسوي مجتمع ارباب الاحزاب وكلهم في حرب عوان والفوز بينهم سجال فيوماً تميل كفة الميزان الى الجهة الواحدة ويوماً الى الاخرى . وكان لويس الخامس عشر يميل مع كل ريح على ما تسوقهُ اليهِ اهوآؤهُ وشهواتهُ وتتسلط على افكارهِ الحظايا وغادات القصر فيوقع احياناً باصفى رعاياهُ واشد المخلصين لهُ او يقرّب اليهِ اشدهم بأساً وخطراً على حياتهِ او الساعين في دك عرش الملكية والاستئثار بالسلطة . وكثيراً ما كان شرفآء فرنسا يذهبون الى قصورهم في المسآء آمنين فلا يخرجون منها في الصباح الا محمولين الى المدفن وبعض الاحيان تختفي جثثهم ايضاً فلا يظهر لها اثر وذلك باوامر مخصوصة يسلمها الملك الى جنودهِ باغرآء المقربين اليهِ فينفذونها بطاعةٍ عميآء وبدون مراجعة احد

وكان في مقاطعة بلوآ اميرٌ فتى في الخامسة والعشرين من عمرهِ وهو الوارث الوحيد لأسرتهِ يقال لهُ غستاف دي لامارك غير انهُ كان قد نبذ اسم اسرتهِ وتخلى عن شرف عشيرتهِ وصار يعرَف باسم غستاف فقط ولذلك تاريخ لا بد من ذكرهِ وهو هذا

كانت اسرة دي لامرك مؤلفة من ثلاثة اخوة توفي اكبرهم عزباً وقتل الثاني عن غير ولد في مبارزة حصلت بينهُ وبين بعض رجال البلاط فآلت ثروة الفقيدين

---

(١) معربة عن الفرنسوية بقلم نسيب افندي المشعلاني

الى الاخ الثالث وكان لا يزال في مقتبل العمر وليس لهُ من البنين سوى غستاف . وكان الرجل كريماً ومحبًّا للعظمة والجلال فعرضت عليهِ الوظائف العالية في البلاط الملكي غير انهُ رفضها بتاتًا مفضلاً ان ينال رفعة المقام بواسطة مالهِ واعمالهِ على ان ينالها بواسطة المراكز التي ترفعهُ اليوم وتضعهُ غدًا . ووُجد لهُ بعض الحساد فوشوا بهِ الى الملك لويس السادس عشر واستعانوا ببعض حظاياهُ لبلوغ مأربهم فنجحوا في ذلك . واتفق ان ذهب الامير يوماً الى باريس كعادتهِ ولما عاد لم يبلغ قصرهُ حتى انقضت عليهِ عصابة من الجنود فاوثقوهُ وقادوهُ الى الباستيل وهو السجن المشهور وكان ذلك بامر من الملك نفسهِ . فعظم الامر على الامير ولبث في سجنهِ بضعة ايام غلب عليهِ فيها الحزن واليأس فمات ونقلت جثتهُ الى املاكهِ في بلوا فدفنت بجانب اخويهِ واصبح غستاف الوارث الوحيد لتلك الاسرة كما ذكرنا وصاحب تلك الثروة الطائلة والاملاك الواسعة .

وكان غستاف مع صغر سنهِ قويّ الادراك حازم الرأي بعيد مرمى النظر فرأى ان سبب انقراض اسرتهِ لم يكن سوى الوجاهة والغنى وعلم ان لا صديق للانسان الا نفسهُ وان اقرب معارف الفتى اكثرهم شرًّا اليهِ فعزم على تغيير خطة معيشتهِ . فابتدأ بتقليل ثروتهِ وجعل يقسّم اموالهُ الطائلة ويهب من املاكهِ للمستشفيات والمدارس الخيرية والفقرآء حتى لم يبقَ لديهِ الا المبلغ الكافي لمعيشتهِ . وتحول بعد ذلك الى هدم الحاجز الثاني وهو الوجاهة فاسقط من اسمهِ كلمة لامرك واكتفى بان يعرف باسم غستاف فقط وصرف جميع خدمهِ واعوانهِ بعد ما كافأهم بما يستحقون وانقطع عن معارفهِ واصدقآئهِ من الكبرآء عملاً بالحكمة التي ضمنها الشاعر في قولهِ

احذر عدوك مرةً واحذر صديقك الف مرَّه
فلربما انقلب الصديق فكان اعلم بالمضرَّه

وابقى غستاف لهُ بيتاً صغيرًا وفرساً اصيلاً وعدة صيد فكان يجوب براري فرنسا وغاباتها وقد استعاض عن القصور الباذخة بالكهوف وعن الوظائف والسياسة بالجولان والصيد وعن معاشرة الحيوان الناطق بمجاورة الحيوان الاعجم فرأى في

ذلك راحةً وسرورًا لم يرَ مثلهما في حياة والدهِ ايام ترددهِ على البلاط الملكي ورجال الدولة

وكان غستاف دائم الانتقال من بلدةٍ الى اخرى فاذا كثر صيدهُ وصادف فقيرًا او ارملة محتاجة شاطرها صيدهُ وربما زادها شيئًا من مالهِ وهو مع ذلك لايطرق باب مخلوق ولا يقبل ضيافة احد . وكأن اجتهادهُ في اخفآء نفسهِ كان سببًا في عكس ما قصدهُ فانتشر خبرهُ وعرفهُ الفقرآء والمعوزون حتى الاولاد فكان اذا مرَّ ببلدةٍ زارها قبلاً يتجارى الصبية والارامل لاستقبالهِ فيفيض عليهم من كرمهِ

وفي ذات يوم خرج غستاف كعادتهِ راكبًا فرسهُ فدخل غابةً كثيفة على امل ان يجد فيها صيدًا فلم يرَ شيئًا يصيدهُ وما زال يجدّ السير حتى انتصف النهار فشعر بعطش شديد ورأى ان لا امل لهُ في الحصول على شيء فخرج من الغابة وقصد اول بلدةٍ بعدها ليروي غليلهُ بكاسٍ من المشروب . وكان في اثنآء مسيرهِ يتأمل في تلك الارض الواسعة ويعجب من جمالها وحكمة الباري ثم حانت منهُ نظرة فرأى عن بعد في منعطف الطريق خمسة فرسان واقفين بخيولهم كأنهم ينتظرون شيئًا . اما هم فلم يقع نظرهم عليهِ حتى صاح احدهم برفاقهِ وللحال اطلق الخمسة لخيولهم العنان وهجموا الى جهة غستاف فلما رآهم متجهين نحوهُ وقف لحظةً يفحصهم بنظرهِ فعلم انهم ليسوا من قطاع الطريق وتحقق انهم من جنود الحرس . واذ لم تكن لهُ ادنى علاقة مع امثال هؤلآء ظن انهم ينتظرون غيرهُ وقد اخطأوا غرضهم فأحب ان يداعبهم قليلاً وللحال عطف راس فرسهِ واعمل في خاصرتيها المهماز فجعلت تعدو بهِ في طريق اخرى بسرعة البرق

ولما رأى الفرسان ذلك ضاعفوا جدهم في ادراكهِ وهم يصيحون و يتوعدون . اما غستاف فكان كلما ابتعد عنهم مسافة يستوقف فرسهُ لاراحتهِ و ينظر اليهم نظرة الساخر منهم الى ان يقربوا منهُ فيعيد الكرة كما في السابق . وما زال على هذه الحالة حتى بلغ بلدة ووقف امام حانةٍ فيها وطلب من صاحبها ان يأتيهُ بكاس من الجعة يبرد بهِ ظمأهُ ففعل . ولكنهُ لم يكد يفرغ من ارتشاف تلك الكاس حتى كانت الفرسان

قد ادركتهُ وعلائم التعب والغيظ بادية على وجوههم والعرق ينسكب الى الارض من ركائبهم . فنظر اليهم غستاف ضاحكاً ثم قال لصاحب الحانة اذا كانت كل جنود الحرس كهؤلآء الفرسان على ظهور الخيول فلله در قائدهم ولا شك انهم قد ركبوا مسافةً طويلة فلا يرفضون دعوتي اياهم لتناول كاس من الجعة معي نشربها بصحة الجنود الفرنسوية خصوصاً والشعب الفرنسوي عموماً

وما صدق صاحب الحانة ان سمع هذا الطلب حتى حوَّل ظهرهُ وهمَّ باحضار المشروب لاعتقادهِ ان الجنود لا يرفضون كأساً من الجعة الباردة وعلى الخصوص اذا كانت تقدمَ لهم بدون ثمن . غير ان احد الخمسة استوقفهُ للحال قائلاً تمهل يا هذا ولا تحضر شيئاً لانهُ اذا كنا نحب ان نشرب ولا بد فبعد ان نفرغ من واجباتنا . فنظر غستاف الى المتكلم فرأى في قبعتهِ ريشة تدل على انهُ كبير الخمسة ورئيسهم فقال لهُ وما عسى ان تكون واجباتكم يا صاح وهل في امكاننا مساعدتكم في قضآء شيءٍ منها . فقال الجندي واجباتنا ان ننفذ امرًا صدر من جلالة الملك بامساكك . فقال غستاف وهو متعجب امساكي انا ؟ واين هو هذا الامر لاراهُ . فقال الجندي نعم والامر في يد ضابطنا الذي ينتظرنا في قصرك وستراهُ قريباً لاننا سنعود بك اليهِ . فقال غستاف وهو يزداد تعجباً في قصري ؟ انني بالحقيقة لا افهم ما ذا تقول يا هذا ولكن على كل حال لا ارى مانعاً من شرب الكاس التي طلبتها لكم ومتى استراحت خيولكم فانا وما تريدون

وكان في تبسم غستاف وعذوبة كلامهِ قوة تغلبت على خشونة الجنود فاظهروا الميل لاجابة طلبهِ غير ان رئيسهم نظر الى سيف غستاف المعلق الى جانبهِ فقال لهُ لااظن اننا نعدّ انفسنا قد قضينا واجباتنا ما دام هذا السيف في عاتقك . فقال غستاف ان هذا السيف هو الارث الوحيد الذي ابقيتهُ من متروكات والدي وقد اقسمت لهُ ان لا تمسهُ يد غيري فلا تطمع بطلبهِ ومع ذلك فاني اعدك اني سأتركهُ في غمدهِ ما شئتم واسير معكم حيثما تريدون واطيعكم كما تحبون لاني صرت ارغب في معرفة ما تؤول اليهِ هذه المقابلة . ثم اشار الى صاحب الحانة فاحضر المشروب

وجعل غستاف يقدم للجنود ويشرب معهم الى ان ارتووا واستراحت خيولهم فأمر رئيسهم بالمسير فساروا وغستاف معهم بعد ان نقد صاحب الحانة ضعفي قيمة ما شربوهُ وهو خليّ البال طيب القلب لا يفارق التبسم شفتيهِ

وكان رئيس الجنود قد شعر بميلٍ الى غستاف فسار الى جانبهِ يحادثهُ ويقول لهُ يا مولاي الكنت فاستغرب غستاف هذا اللقب وقال لهُ لماذا تدعوني كنتًا . قال لاننا قد عرفناك بالرغم عن تنكرك ولكنني بعد ما رأيت من لطفك صرت اودّ ان لا نكون عرفناك . فقال غستاف قل لي بصراحة يا صاح ما غرضكم وما هي الاوامر الصادرة بخصوصي . فقال الجندي جئنا وضابطنا باوامر الى قصر آرل للقبض على الكنت آرل وشنقهِ على باب قصرهِ فلما بلغنا القصر علمنا ان الكنت قد بلغهُ ذلك فهرب قبل وصولنا ببضع ساعات ليجتاز الحدود الفرنسوية وينجو بنفسهِ فاستخبرنا عن الطريق التي سار فيها وبقي ضابطنا في القصر وارسلنا للبحث عن الهارب وارجاعهِ اليهِ . فقد وجدناك يا مولاي واني حقيقةً كنت اود ان لا نكون قد رأيناك . فقال غستاف وقد استغرب الامر غاية الاستغراب ولكن اية علاقة بين الكنت آرل وبيني فانا لا اعرفهُ ولا هو يعرفني . فقال الجندي انا اعلم انك لا بد ان تنكر اسمك يا مولاي ولكن الوصف الذي اخذناهُ عنك مع مطابقتهِ التامة لك لا يدع لنا مجالاً للريب . فقهقه غستاف ضاحكاً ثم لم يزد على ما تقدم بعد ان عرف ان الكنت آرل حقيقةً فارٌّ من وجه الظلم والاستبداد وان الجنود قد ظنوهُ اباهُ فبقي سائرًا معهم وهو يفكر انهُ اذا بلغ القصر لا بد ان يُعرَف فيطلق سراحهُ ويكون الكنت قد استفاد زيادة في الوقت بدون مطارد وابعد عن تابعيهِ

وبلغ الفرسان قصر آرل المشهور وكان غستاف يستغرب دخولهُ الى ذلك المكان كما استغرب الخدم دخول هذا الغريب الى القصر محاطًا بالجنود وما زال يمشي معهم وهم يقودونهُ الى ان ادخلوهُ الى ردهة فسيحة ووقفوهُ امام الضابط . وكان هذا رجلاً فظًّا تلوح على وجههِ علامات الشراسة والاستبداد فنظر الى غستاف شزرًا وقال كان يجب ان توفر على نفسك عناء الهرب وتعلم ان الحكومة

لا تتخلى عن شخص فارٍّ من وجهها . ثم أخرج من جيبهِ ورقة وقال اسمع فاتلو عليك الحكم الموجه اليك والمفوض اليَّ انفاذهُ . وكانت الكنتة آرل قد سمعت ان الجنود قد عادوا بزوجها فدخلت الردهة في تلك الساعة وهي في شدة الاضطراب ولكنها ما وقعت عينها على غستاف ورأتهُ فتًى بهي الطلعة متوقد الفؤاد في شرخ الشباب حتى ألقت اليهِ نظرًا وضعت فيهِ جميع ما يخالج صدرها وكانها اطلعتهُ بتلك النظرة على تفاصيل قصتها وسألتهُ الرحمة والشفقة على زوجها وعايها . وقرأ غستاف في تلك النظرة ما تريدهُ الكنتة فتبسم دليل الادراك واشار اليها من طرف خفي ان كوني براحة بال . واخذ الضابط في تلاوة الحكم فقال

على الضابط درويه ان يتوجه مع خمسة فرسان الى قصر آرل فيقبضون على الكنت اذا كان فيهِ او يبحثون عنهُ حيثما وجد فيأخذونهُ الى قصرهِ ويعدمونهُ شنقًا على برج القصر في صباح اليوم الثاني من القآء القبض عليهِ . ثم يعودون بدون ان يكلموا احدًا ولا يمسّوا شيئًا صدر من قصر التويلري بارادتي الخاصة

لويس الخامس عشر

فاصفرّ وجه الكنتة وكادت تسقط الى الارض لو لم تجد بالقرب منها كرسيًا استندت عليهِ . اما غستاف فتبسم كعادتهِ وقال اذًا للكنت آرل بقية من الحياة حتى صباح الغد فهو يشكركم على هذا ولكنني ابشركم انهُ لن تصل ايديكم الى الكنت ولن ينفذ هذا الاعدام . فقطب الضابط حاجبيهِ وقال كفاك اعتدادًا بنفسك ايها الكنت واستعد للموت ثم امر الجنود ان يأخذوهُ الى احدى غرف القصر ويحرسوهُ حتى الصباح . ثم قال لهم خذوا سيفهُ منهُ فربما بلغ منهُ اليأس فانتحر ليصدق في ما قال . فنظر اليهِ غستاف نظرة الاحتقار وقال كلا لست جبانًا لانتحر ولا اتخلى عن سيفي ابدًا . فقال الضابط اني لأعجب من اصرارك على ابقآئهِ معك وقد سمعت ان الكنت آرل لا يعرف ان يدير السيف في يديهِ ولكنني على كل حال لا احرمك هذه الامنية وما دمت محروسًا بمراقبة هؤلآء الجنود فلا خوف عليك وانت مطلوب من ايديهم . ثم اشار بيدهِ علامة الانصراف فخرجت الجنود تقود غستاف الى غرفةٍ

وضعوهُ فيها واقام الرئيس على بابها يحرس السجين . ورأى غستاف ميل الجندي اليهِ فاخذ يحادثهُ ثم طلب طعاماً وشراباً فاحضر لهُ ودعا الجندي ليشاركهُ على المائدة ففعل وكان يزداد حبًّا لهُ وشفقة عليهِ . فلما فرغا من الطعام طلب غستاف منهُ ان يسعى في مواجهتهِ بالكنتة آرل فوعدهُ هذا ان يحضرها الى غرفتهِ في تلك الليلة

وعند الساعة الحادية عشرة في تلك الليلة فتح باب الغرفة ودخلت الكنتة يقودها الجندي ثم اقفل الباب . فنهض غستاف لاستقبالها وأجلسها على مقعدٍ بازآئهِ وطلب منها ايضاح ما لا يزال يجهلهُ من القصة . فتنهدت وقالت له ان زوجي أيها الصديق كان من المقرَّبين الى الملك لويس الخامس عشر وكان يتردد الى البلاط يوميًّا فحدث ان رأتهُ احدى حظايا الملك فمالت اليهِ وشغفت بحبهِ ولما لم يعد يسعها الكتمان استدعتهُ اليها واعترفت لهُ بهيامها. فأنكر زوجي عليها ذلك وجعل يؤنبها بلطفٍ ولكن أبت هي الاَّ الالحاح فقال لها انهُ لن يخون زوجتهُ بالاشراك في الحب ولا يخون ملكهُ في التعدّي على خصائصهِ . و بعد ما قضت تلك الخائنة أياماً في استمالة زوجي ولم ترَ منهُ سوى النفور والابتعاد انقلب حبها الشديد الى بغضٍ أشدّ وأقسمت لتنتقمنَّ منهُ ولتقتلنهُ شرّ قتلةٍ امام عيني زوجتهِ التي يحبها و بأمر الملك الذي يحافظ على كرامتهِ . وما زالت تسعى لدى الملك حتى أغوتهُ بكثرة حيلها وحصلت منهُ على الامر الذي سمعتهُ هذا المسآء . وكان لزوجي صديقٌ في البلاط من المقرَّبين فأعلمهُ بذلك وللحال امتطى جوادهُ بعد ان اخبرني بما جرى وهرب الى املاكٍ لنا ورآء الحدود الفرنسوية في مقاطعة انكوليم وقد وعدني انهُ اذا وصلها بسلام يرسل فيأخذني اليهِ الى ان يقضي الله بالفرج فيعفو الملك عنهُ او تتغير الاحوال . و بعد ذهابهِ بمدة يسيرة وصل الضابط والجنود فبحثوا عنهُ في القصر ولما تحققوا عدم وجودهِ بقي الضابط هنا وأرسل فرسانهُ يبحثون عن زوجي . ولا تسل عن اضطرابي وقلقي وانا جاثية في غرفتي أسأل الله ان ينقذهُ من ايديهم حتى سمعت اليوم بعودة الجنود فأظلمت الدنيا في عيني وظننت انهم رجعوا بزوجي فدخلت الغرفة وانا مصرّة على ان افديهُ بشخصي أو اموت معهُ . فلما رأيتك علمت للحال ان العناية قد حجبت عيون الضابط وجنودهِ

عن معرفتك وهم يظنونك زوجي فنظرت اليك تلك النظرة وسألتك بها ان نتركهم على غلطهم ولو بضع ساعات الى ان يكون زوجي قد جاوز الخطر ولكن وا أسفاهُ فاني على كل حال شقية . فقال غستاف ولماذا يا سيدتي . قالت لانهُ لا خلاص لك من أيديهم الآن وسينفذون الحكم فيك في الصباح لاعتقادهم انك انت الكنت آرل . فقال ولكنني سأبرهن لهم انني لست اياهُ . قالت انهم لا يقتنعون وقد ساعدتهم التقادير بان اوجدت بعض الشبه بينك و بين زوجي فمهما أنكرت انت وانا والخدم فانهم لا يصدقونهم ويقتلونك بدون سماع صراخك انك بريء وليس بينهم من يعرف حقيقتك . فأدرك غستاف خطر موقفهِ وظهر لهُ الموت بهيئة حسية فأطرق قليلاً وقبل ان ينطق بينت شفة فتح باب الغرفة ودخل الجندي فقال اني تحققت الآن انك لست انت الكنت وقد سمعت حديثكما فأيقنت ان الكنت بعيد عن فرنسا . ولقد كنت أودّ انقاذك من أول الامر غير ان ضابطنا شرس الاخلاق لا يذعن ولا يلين فلا بدّ من مساعدتك على الهرب ولا يوجد الآ هذه الطريقة الوحيدة فهل تروما . فنظر غستاف الى الكنتة كمن يستشيرها فكانت كل ملامح وجهها تدلهُ على استصواب الامر . فقال لها ولكنني قد تأثرت من حالتكِ ولا أسير مطمئن البال وانتِ هنا فربما انتقم الضابط منكِ متى وجد ان مسعاهُ قد أخفق . فقالت أوّاه انك تقول الحق وكنت أودُّ ان اسير برفقتك وتحت حمايتك لو وُجد لي سبيل الى الهرب معك . فقال الجندي اذا كنتِ تحسنين الركوب فلا أسهل من ذلك ولا سيما واوامرنا مقصورة على الكنت نفسهِ وقد حُظر علينا فيها معارضة اهل القصر

و بعد مباحثة قليلة خرج الجندي فاحضر فرس غستاف وجوادًا آخر للكنتة وذهبت الكنتة فاستعدت بلبس ثيابها وأخذ ما يهمها أخذهُ معها . اما غستاف فخرج بعد ان عرف الغرفة التي ينام فيها الضابط فقصدهُ وفتح الباب فوجدهُ ملقى على سريرهِ . ولما رآهُ الضابط وثب امامهُ وقال لهُ ما غرضك من المجيء اليّ الآن . قال جئت لاعلمك انك في غلطٍ مبين واني لست الكنت آرل بل انا غستاف المعروف

في جميع انحاء فرنسا وان شئت أتيتك بألف شاهد . فقال الضابط كذبت يا هذا ولن ينقذك كذبك واحتيالك من يديّ وان لم ترجع الى سجنك مطيعاً للامر الملكي الذي اطلعتك عليهِ تجبرني على ان اعيدك رغماً عنك بضربات هذه العصا . ولم يطق الدم الساري في عروق غستاف هذه الاهانة ولكنهُ كظم غيظهُ وقال قلت يا حضرة الضابط ان الكنت لا يحسن ادارة السيف بيديهِ ولعل قولك هذا صحيح فلا اسهل من الامتحان فخذ سيفك وقابلني فاذا فزت عليّ تحققت انني انا هو واما اذا رأيت مني ضربات لم تسمع بمثلها عمرك فاكون قد برهنت لك انك في ضلال . فما اتم كلامهُ حتى استل الضابط سيفهُ ووقف الاثنان للمبارزة غير ان غستاف لم يطل الوقت مع خصمهِ حتى طعنهُ طعنة دخل السيف فيها في عنق الضابط فسقط الى الارض والدم يتدفق من وريدهِ . واقفل غستاف باب الغرفة ونزل مسرعاً الى ساحة القصر فوجد الفرسين والكنتة بانتظارهِ مع الجندي فامتطيا جواديهما . ونظر غستاف الى الجندي فقال لهُ الا خطر علينا من رفاقك . قال كن براحة ايها العزيز فهم نيام لا يصحون الى الغد وفوق ذلك فانهم لا يأتون بحركة بدون امري وسأرجع اليهم فأراقب حركاتهم ولا ينبثق نور الفجر الا وتكونان قد بلغتما مكاناً لا نستطيع لحاقكما اليهِ لو قصدنا . فاخذ غستاف بيدهِ شاكراً ووعدهُ ان يجتهد في وفاء ذلك الدين اذا قُدّر لهما الاجتماع . اما الكنتة فاعطت يدها للجندي ليقبلها والحت عليهِ ان يزورها في انكوليم فوعد ثم سار الجوادان براكبيهما ينهبان الارض

وبلغ غستاف والكنتة قصرها في انكوليم وما دخلا باب الحديقة حتى رأيا الكونت متكئاً على النبات الاخضر وهو غارق في بحار التاملات فلما رأى زوجتهُ لم يكد يصدق نظرهُ حتى وثبت عن ظهر جوادها والقت نفسها بين ذراعيهِ وقصت عليهِ ما جرى بعد ذهابهِ . و بينا هي تحدثهُ وقد اطمأن غستاف بان الكنتة قد اصبحت في امان بين يدي زوجها انتهز فرصة تشاغلهما بالحديث فلم يشعرا الا وفرسهُ ينهب الارض بحوافرهِ فكان آخر عهدهما بهِ